الصهيوني الاخير ، دولة اسرائيل ، ذلك ان استمرار الهجرة وصولا الى تحول اليشوف الى اكثرية (في كل او بعض فلسطين) يضمن تحول ميزان القوى لصالحه ، الامر الذي يوازي من الناحية العملية قيام دولة اسرائيل ٠

الحلقة المركزية في الاستراتيجية الفلسطينية (اذا غامرنا باطلاق مصطلح حديث على سياسات تقليدية) هي الاستراتيجية الصهيونية نفسها ولكن مقلوبة : ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ٠ هنا كانت نقطة الضعف القاتلة في السياسات الفلسطينية ، النقطة التي سهلت قيام اسرائيل ، ذلك انه لم يكن بوسع السياسات الكولونيالية الانكليزية الا ان تتعرض لضغوط وتاثيرات ، قد تصمد لها تارة ، ولكن قد تخضع لها تارة اخرى ، كما اثبت تاريخ ثلاثين عاما من الانتداب على فلسطين ٠ لقد كان مطلب استقلال فلسطين ، ما دامت اكثريتها عربية ، في حال تحقيقه ، وحده الكفيل باغلاق نهائي لابواب الهجرة ، وبالتالي وقف تحول ميزان القوى لصالح اليشوف ٠ لا يمكننا الجزم ، بالطبع ، ان طرح مطلب الاستقلال والنضال في سبيله كان سينتهي الى نجاح اكيد ، لكنه يبقى الموقف الاكثر سدادا والاكثر عقلانية والاكثر انسجاما مع المصلحة القومية العربية ، كما انه يحل في طريقه مسألة الهجرة ٠ وفي كل الاحوال ، فان طي مطلب الاستقلال تارة وعدم التركيز عليه تارة اخرى من قبل الحركة الوطنية الفلسطينية (عدا حزب الاستقلال ، الذي بقي هامشي التأثير) إنما يعكس النهج المتعاون مع الانتداب الذي سلكته هذه الحركة ، لا خوفا من قوة بريطانيا فحسب ، بل ايضا املا في سياسة انكليزية محابية اكثر فأكثر للعرب ، تقطع الطريق امام المشروع الصهيوني ٠

بالنسبة لليشوف ، يبدو لافتا ، منذ الوهلة الاولى ، تعلقه بيوتوبيا تتمثل في عملية بناء الدولة اليهودية ٠ هذه اليوتوبيا ، التي لم تضعف التصاقه بالواقعي، بل جعلته يتشرب جملة من القيم والمثل منحته بسيكولوجيا ذات طابع ارادوي وكفاحي ورسالي (رغم تناقض هذا مع الاستهانة بالغير ، العرب ، ومع محاولة اغتصاب وطن الاخرين) ، عملت لاستبدال النمط النموذجي القديم لليهودي ، « العايش من الهواية ، بنمط نموذجي جديد يعيش على الشغل اليهودي ويرتبط بالارض ٠ ولقد نهض ثوريون روس يهود ، ممن ساهموا في ثورة ١٩٠٥ المخفقة ثم تحولوا الى الصهيونية وهاجروا الى فلسطين ، بهذه المهمة٠

اضف الى ذلك ان اليشوف منظم على عدة اصعدة : على الصعيد السياسي ، كان ثمة نوع من البرلمان المنتخب ومجلس تنفيذي يلعب دور حكومة تقريبا ٠ على صعيد المدن ، الهستدروت ، الذي يشكل العمود الفقري للحركة الصهيونية، ينظم ويؤطر شغيلة المدن ٠ في الريف ، الكيبوتزات تؤطر وتعبىء الشغيلة المزارعين ٠ يسيج كل ذلك « الهاغاناه » (قوة الدفاع اليهودية) ، التي تشكلت بشكل نصف سري في ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، واستمرت تنمو كما وكيفا ، وقامت